ويقول في بيان رايه في هذا البيت : رأيت علمائنا يستجيدون معناه ولست أرى الفاظه جياد .

رابعاً: ضرب تأخر لفظ ومعناه ، كقول الاعشى :

وقد غدوتُ الى الحَانُوت يتبعنِي شاوٍ مشل شلول شلشل شولُ

.

ولعل تأخر اللفظ والمعنى في هذا البيت يرجع الى سوء النظم وعدم اختيار الالفاظ التي تدل على المعنى دلالة واضحة فمثلا في بيت الاعشى السابق نجد تنافر الكلمات في الشطر الثاني (شاوٍ ،مشل ، شلول ،... الخ) ، هدا طرح لرأي (ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ) لكن اغلب النقاد لم يوافقوه الرأي فيما طرح من اراء لاسيما تقسيمه للشعر لأربعة أنواع لأنه لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى في اثبات الصفة لأنهما (اللفظ والمعنى) متلازمان وما يثبت لأحدهما يثبت للأخر ، لان الكلام الذي يحسن لفظه يحسن معناه والعكس صحيح .

وعندما نصف الكلام بحسب الالفاظ ، فانما نعني بذلك الالفاظ في سياقها ونظمها لا الالفاظ المجردة.

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) في دلائل الاعجاز" **وهل تجد احداً يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانساتها لأخواتها** " .

وهكذا نجد خلاصة رأي الجاحظ في النص الجيد بكونه يعبر عن معنى جميل شريف بألفاظ مؤتلفة غير متنافرة وأسلوب سلس موات غير متكلف وبهذا يجمع النص شروط الإجادة المتمثلة بالمعاني والالفاظ والروح الأدبية التي تناسب منه ، فيقول أيضا : " **والمعاني اذا كُسيت الالفاظ الكريمة ، وأُلبست الاوصاف الرفيعة ، وتحولت في العيون عن مقادير صورها ، واربت على حقائق اقدارها ، بقدر ما زينت ، وحسب ما زخرفت ، فقد صارت الالفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري .. فالقصد في ذلك ان تجتنب السوقي والوحشي ، ولا تجعل همك في تهذيب الالفاظ ، وشغلك في التخلص الى غرائب المعاني ، وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسط مجانبة للوعورة** ". اذن ليست هناك مفاضله بين الالفاظ والمعاني في النص الادبي في رأي الجاحظ ، فإذا ادخل الشاعر او الكاتب الحيف على احداهما عيب قوله ، لكن تقدير المعاني الجيدة مناط بالذوق والفهم ولا يمكن ان يحدد بقاعدة وشروط ، اما الالفاظ فهي محسوسة تدرك بالسمع والقراءة ويمكن للناقد ان يُفصل في شروطها وما يتوفر لها من معالم الاجادة والفصاحة والواقع ان الخروج من نص الجاحظ السابق الى النصوص الأخرى التي ابدى فيها اراءه ، يدلنا على انه لم يكن من انصار الالفاظ على المعاني ، ولا من الذين عنوا بالصياغة والأسلوب فحسب ، كما انه لم يفصل بين الالفاظ والمعاني بتحديد مفهوم المعنى عنده بل انه عنى بالنص الادبي بكل ما يحمله من معانٍ ، عُبر عنها بألفاظ وأساليب واوزان ، فالنص الادبي الجيد هو ما كانت أفكاره ومعانيه جيده

ومقبولة في النفس وكان أسلوبه جميلا ومؤثرا واذا انفرد بإحدى هاتين الميزتين من دون الأخرى أصابه الخلل وخرج عن اطار النجاح

عناصر النص الادبي عند الجاحظ : ذكر الجاحظ رأيه (المعاني مطروحة ...) ، موضحاً عناصر النص الادبي ، بالاتي :

١ ـ إقامة الوزن : أي في اختيار الاوزان المناسبة للمعاني المطروحة .
٢ ـ تخير اللفظ وسهولة المخرج : وهذا مبحث افاض فيه الجاحظ ، حيث ذكر من شروط الالفاظ الجيدة حسن اختيار القائل لها ، سواء مطابقتها للمعاني ، او في تصويرها لبيئة الشاعر وحياته ، مع توخي سلامتها وسهولة مخرجها .
٣ ـ كثرة الماء وصحة الطبع : ويريد بهما بعد الشعراء عن الجفاف والافتعال المصطنع ، وقد اطلق العرب تعبير (كثرة الماء) كناية عن الحيوية والجمال ، فماء الشباب مثل حيوية الوجه وصباحته وقد قرنه الجاحظ هنا ب(صحة الطبع) ليجعله عنصراً من عناصر النص الادبي الجيد ، فكما يتفنن الصانع في صنعته ، والرسام والنساج في احتيار مواد رسمه او نسجه كذلك الشاعر يختار لنفسه الأسلوب الذي يحمل عناصر النجاح ، المتمثلة بالمعاني والصياغة والروح الشاعرية المناسبة الدالة على طبع شعري معبر.

لقد جمع الجاحظ هذه العناصر الثلاثة معاً في اكثر من موضوع في كتبه فقال :

" فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلالِ ، مصوناً عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فُصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، اصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة " .

٢ـ قضية السرقات الأدبية

السرقة والسرق بمعنى واحد وكلاهما اسم مشتق من الفعل (سَرَقَ)، والسارق عند العرب من جاء مستتراً الى موضع حصين او حرز فأخذ منه ما ليس له ، ومن هذا الجانب المعنوي للسرقة تأتي (السرقات الشعرية) والتي تعني اخذ شاعر من شاعر اخر او اغارته على بعض شعره ونسبته لنفسه ، ولفظ (السرقة) في الادب لا يقف عند حد الاعتداء على ادب الاخرين والاخذ منه وانما تتجاوز السرقة الى أمور أخرى مثل (التضمين والاقتباس والتقليد وعكس المعنى وغيرها) .

وهذه المسألة قديمة امتدت مع امتداد الشعر العربي ، وهي من أوسع أبواب النقد الادبي ، اذ شُغل بها النقاد والشعراء وعرفت منذ الشعر الجاهلي حتى وصلت الى العصور المتأخرة ، حتى يلاحظ ان اغلب الشعراء الجاهليين قد أُتهموا ، كما لم يسلم من هذا الاتهام الشعراء اللاحقون ، فالعصر الجاهلي عرف بأصالة شعرائه ومقدرتهم الشعرية وقد عرف عندهم مثل هذا التشابه في الاستعارة وقد يصل الى التشابه الكامل وهذا ما دعى الكثير من النقاد الى اتهامهم بالسرقة

الشعرية ، ونطرح رأي ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، اذ يرى ان (طرفة بن العبد) قد اخذ من شعر (امرؤ القيس) قوله :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسأً وتجمل

وقول (طرف بن العبد) :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسأً وتجلد

ويقول (حسان بن ثابت) :

لا اسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

.

ثم استمرت هذه الظاهرة في العصر الاموي قال (كثير عزه):

اريد لأنسى ذكراهم فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقال (جميل بثينة) :

اريد لأنسى ذكراهم فكأنما تمثل لي ليلى على كل مرقب

فمثل هدا التشابه يخرج أحيانا الى حد الاعتراف بالسرقة الشعرية ، اما في العصر العباسي يمكن ملاحظة هذه الظاهرة من حيث الاتفاق والتشابه في الالفاظ والمعاني وقد جاءت بأشكال وصيغ متباينة ومتعددة ومن امثلتها ان (الحسين بن الضحاك) انشد (أبو نؤاس) قصيدته التي يقول في احد ابياتها :

كانا نصب كاسه قمر يكرع في بعض انجم الفلك

فجاء (أبو نؤاس) بعد أيام لينشد (الحسين بن الضحاك)

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

.

وقد التفت ابن سلام (ت٢٣٢هـ) ، الى هذا الموضوع سواء بالنسبة للشعراء الجاهليين او الإسلاميين في كتابه (طبقات فحول الشعراء) وقد رد بعض الاشعار الى أصحابها ثم توسع ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، في هذا الموضوع أيضا في كتابه (الشعر والشعراء) فقد ذكر بعض السرقات الشعرية ورد معانيها الى شعر القدماء ويعد الجاحظ من أوائل النقاد الذين اهتموا بتحليل وتعليل ظاهرة السرقات الشعرية تعليلا نقديا وهو يعتقد ان الاحتذاء والتقليد امران ملازمان لطبيعة الادب مادام فيه حديث وقديم فلا بد للمحدث من ان يتأثر بالقديم وقد حدد الجاحظ نوعين من السرقات الشعرية بين الشعراء النوع الأول يتمثل بالاشتراك بالمعنى وهذا امر مقبول من قبل الجاحظ اما النوع الثاني فهو سرقة المعاني والأفكار والالفاظ والتراكيب أي الاشعار كاملة وهذا ما يسميه (الجاحظ ت ٢٥٥هـ) بالسرقة الحقيقية .

اما ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ،فقد تطرق لهذه القضية وقال بفكرة (السرقة المحمودة) التي اخذها الشعراء من القدماء وزادوا عليها فأخرجوها بحلة جديدة وبذلك فان ابن قتيبة هو اول من اخرج هذه المسالة من دائرة الاتهام اما أبو عمرو بن العلاء (ت١٤٥هـ) ، والذي سبق الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، فقد سئل عن شاعرين قد اتفقا في لفظ واحد ومعنى واحد فقال :(عقول رجال توافقت على السنتها) ، اما رأي المتنبي في المثال السابق فيقول ان الشعر جادة

وربما وقع الحافر على موضع الحافر ، ثم جاء الآمدي (ت٣٧١هـ)، وهو من ابرز نقاد القرن الرابع الهجري وبحث هذه القضية في كتابه (الموازنة) فلم يكن يرى من السرقة عيباً الا إذا كانت في المعاني المبتكرة ، اما أبا هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، فأنه يتفق مع الجاحظ في رأيه بالنسبة للمعاني فهي مشتركة بين الجميع كما انه عرض لهذه القضية الامام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ،وخلاصة رأيه فيها انه :

١ــ اذا اتفق الشاعران في الغرض عموماً مثلاً يصف الشاعران الممدوح بالشجاعة ،فأن مثل ذلك لا يدخل في باب السرقة الشعرية

٢ــ اذا اتفق الشاعران في تشبيهات معروفة ومميزة مثل تشبيه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر فهذا ايضاً لا يدخل في باب السرقة معللاً ذلك بأنه مشترك بين الناس .

٣ــ اذا اتفق الشاعران بشيء لا يدرك الا بفطنة وتأمل واستنباط فهذا الامر الذي تجوز فيه دعوى السرقة الشعرية، وقد تعرض الامام عبد القاهر(ت٤٧١هـ)، لهذه المسائل في كتابيه (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) .

ويرى أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه(الصناعتين) انه ليس لمتأخر غنى عن استعمال معاني المتقدم ،اما القاضي الجرجاني(ت٣٩٥هـ) فأنه يرى ان السرقة داء قديم وما زال الشاعر يستعين بمعاني الاخر ويستمد منه ويعقد على لفظه ومعناه، في حين يذهب ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ان باب السرقة باب متسع جداً لا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة منه .

أنواع السرقات الشعرية : لقد بذل الباحثون الجهد في البحث والاستقصاء لأنواع السرقات الأدبية ، ومن تلك الأنواع ما يأتي :

١ــ الانتحال : وهو ادعاء الشاعر بأن البيت الشعري له ومن مثل ذلك انتحال (جرير) للبيتين الذي اجمع الرواة على انهما لل(معلوط السعدي) وهما :

ان الذين غدوا بلبك غادرو وشلا بعينك لا تزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

٢ــ الغصب : وهو اخذ البيت الشعري او اكثر من بيت الشاعر غصباً وجبراً مثل ما فعل (الفرزدق) بـ (الشمردل اليربوعي) حيث قال (الشمردل) :

فما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير حز الحلاقم

فقال له (الفرزدق) والله لتدعنه او لتدعن عرضك فقال (الشمردل) خذه لا بارك الله لك فيه.

٣ــ المرافدة : وهي ان يعين الشاعر صاحبه الشاعر بالأبيات ويهبها له كما قال (جرير) ل (ذي الرمة) :

انشدني ما قلت ل (هشام المري) فقال :

نبت عيناك عن طلل بحزوى محته الريح وامتنح القطارا